

الشهيد الطالب القاسم زدور إبراهيم ونضاله التحرري ضد الاستعمار

The student martyr El Qassem Zeddour Ibrahim and his liberation struggle against colonialism

د. ملاح الهواري¹

¹ جامعة وهران 1 (الجزائر)، mellah.lahouari@univ-oran1.dz

تاريخ القبول: 2026/05/07

تاريخ الاستلام: 2026/01/28

ملخص:

يعتبر الشهيد زدور إبراهيم القاسم من أبرز القادة الفاعلين في الحركة الوطنية وفي التحضير للثورة التحريرية المباركة حيث كان من مؤسسي جبهة التحرير الوطني ويبرز نضاله الوطني التحرري في مقالاته التي كتبها قبيل اندلاع الثورة وظهر ذلك بقوة في مقاله حول قضية الاتحاد في الجزائر الذي طرحته جريدة المنار يوم 08 ماي 1953 وقد ختم مقاله بذكر وسائل الاتحاد في النقاط التالية:

أ- أن تعقد كل هيئة جزائرية مؤتمرا يجمع قادتها ويقرر ما يأتي:

__المطالبة بحق الشعب في تقرير مصيره.

__العمل مع الهيئات الأخرى على كسب عطف الرأي العام العالمي لصالح قضية الجزائر.

__العمل على إثارة قضية الجزائر في هيئة الأمم المتحدة لكي يناقش موضوع النزاع بين الجزائر وفرنسا.

هذه بعض النقاط التي وردت في المقال ومن خلال مداخلتي سوف نسلط الضوء على جوانب أخرى وهامة حول هذه الشخصية البارزة وما قدمته من تضحيات، وبالرجوع أيضا إلى مقالات سياسية أخرى كتبها الشهيد كشف من خلالها جرائم الإدارة الفرنسية الاستعمارية ومهد الطريق أمام رفقاء النضال من أجل تحقيق آمال الأمة الجزائرية في الاستقلال الوطني.

كلمات مفتاحية: الشهيد زدور القاسم، الطلبة الجزائريين بالزيتونة، الطلبة الجزائريين بمصر، مكتب المغرب العربي في القاهرة، الحركة الوطنية في وهران.

Abstract:

The martyr Zeddour ibrahim El Qassem is considered one of the most prominent active leaders in the national movement and in the preparation for the blessed liberation revolution, as he was one of the founders of the national liberation front. His national liberation struggle is highlighted in the articles he wrote before the outbreak of the revolution, and this was strongly demonstrated in his article on the issue of the union in Algeria, which was presented by Al-Manar newspaper on May 8, 1953. He concluded his article with a mention the means of union are in the following points :

A- That each Algerian body hold a conference that brings together its leaders and decides what it follows :

_Demanding the people's right to self-determination.

_Work with other bodies to gain public sympathy global in favor of the Algerian cause.

_Working to raise the Algerian issue at the United nations in order to discuss the issue of the conflict between Algeria and France.

These are some of the points mentioned in the article and through my intervention we will highlight other aspects of some articles that written by the martyr, he reveals the crimes of the French administration colonialism paves the way for companions to struggle to achieve their hopes the Algerian nation in national independence .

Keywords: The martyr Zeddour El Qassem ; Algerian students at Zitouna university ; Algerian students in Egypt ; The maghreb office in Cairo ; The national movement in Oran.

*المؤلف المرسل

مقدمة:

من حقائق التاريخ أن الاستبداد وحرية الفكر ضدان لا يجتمعان، ولذا نرى النظم الاستبدادية تحارب كل ما يؤدي إلى تحرير الفكر . ومن أساليب النظام الاستعماري في محاربة حرية الفكر ومنع التعليم الحر، إحصاء الأبواب في وجه طلاب الحقيقة وأنصار الفضيلة، وتسليط سوط العذاب على كل ذي ميّة موهبة من شأنه أن يهيب بالشعب إلى النهوض وينفخ فيه روح العزة القومية التي تشد العزائم و توقظ الهمم وتدفع الشعب إلى نفخ غبار الذل والهوان، وإعداد العدة للتحرر من نير المستعمر الغشوم.¹

ولد الشهيد قاسم على الساعة العاشرة صباحاً يوم ثاني فبراير 1923 بشارع كامبرون رقم 5 بحي سانت أنطوان -غالبية السكان فيه للفرنسيين- حيث سيعيش مع عائلته إلى حدود سنة 1940 وهو رابع مولود بعد أخيه الأكبر محمد وأختين وتلته أخت ثالثة وأخ ثان الحاج أحمد الشريف.

بدأ بحفظ القرآن الكريم وهو ابن تسع سنين، وكان ذلك بفضل حرص الوالد على تعليم أولاده القرآن الكريم² ومن ذلك الحرص جلب لهم معلماً لتعليمهم -وهم صغار- في البيت، ومن المدارس التي أتم فيها الشهيد القاسم حفظ القرآن الكريم مدرسة كريشتل، ومدرسة بوفاطيس.³

التحق بعد ذلك القاسم -رفقة شقيقه محمد الشريف - إلى المدرسة الابتدائية وحاز شهادة التعليم الابتدائي وهو ابن ثلاث عشرة سنة وكان من المتفوقين الأوائل في اللغة الفرنسية مع أن غالبية القسم من الفرنسيين.⁴ بعد تحصيله على شهادة التعليم الابتدائي التحق الشهيد القاسم بمدرسة والده

- محمود بوزوزو، الثقافة القومية والنظم الاستبدادية، جريدة المنار، السنة الثانية، العدد 3، ماي 1952.¹

- قال الشاعر الحكيم: كن ابن من شئت واكتسب أدباً يغنيك محمود عن النسب²

إن الفتى من يقول هأنذا ليس الفتى من يقول كان أبي

هذه الأبيات هي أول ما علم والد الشهيد قاسم لأولاده. في لقاء مع محمد الشريف رحمه الله.

- حدثنا الشيخ محمد الشريف أن أول مسجد بني في مدينة بوفاطيس يرجع الفضل فيه للشيخ الطيب المهاجي الذي³

حرض أبناء هذه المدينة الصغيرة على بناء أول مسجد فيها، وقد ساهم القايد في بوفاطيس دوراً مهماً، وقدم الشيخ أحمد الغاملي للإمامة فيه ولتعليم القرآن الكريم.

- ذكر لنا الشيخ محمد الشريف أن أباهم أخذ عهداً على عدم إلحاق أولاده بالمدرسة الفرنسية حتى يتموا حفظ القرآن،⁴

ونظر لهم معلماً لمبادئ اللغة الفرنسية كتعلم الحروف وكتابتها.

الشيخ الطيب المهاجي بحي المدينة الجديدة بوهراڤ وعن حرصه وذكائه يقول والده: "ثم صار يحضر دروسي المتنوعة بجد واجتهاد ومزيد اعتناء مع ذكاء القريحة والفهم الثاقب والحرص الدائم حتى حصل على ما عندي".⁵

وحدثنا شقيقه الأكبر محمد الشريف رحمه الله عن هذه المرحلة التعليمية أيضا عن ذكائه وحرصه على الفهم الصحيح فكان كثيرا ما يسأل ويناقش والده المعلم في مسائل فقهية ولغوية مختلفة. هذه المدرسة التي سوف يكون لها أثر كبير في شخصية الشهيد قاسم لكفاءة المدرس الشيخ الطيب المهاجي الذي اعتنى بأبنائه اعتناء خاصا، خاصة الشهيد قاسم الذي رأى فيه نشاطا وإقبالا على محبة طلب العلم، فقد تخرج من هذه المدرسة العديد من العلماء الذي تصدوا فيما بعد للتعليم في أشهر مدن وحوضر الغرب الجزائري.

إضافة إلى التزود بالعلم والآداب الإسلامية فقد كان الشيخ الطيب المهاجي يث في تلاميذه التعاليم الدينية والروح الوطنية التي تحث على ضرورة الإسراع والرجوع بالجزائر إلى حظيرتها الأصلية والعمل من أجل التحرر من أيدي المستعمر الفرنسي.

ونتيجة لهذا البغض للاستعمار الفرنسي الذي تربى عليه قاسم منذ صغره، عزم ألا يلي الاستدعاء للخدمة العسكرية الإجبارية تحت الراية الاستعمارية؛ فاستعمل طريقة التجويع، ولما استدعي للتجنيد في الجيش الفرنسي سنة 1943م وفحص بالمصلحة الطبية لاختيار المجندين أجل تجنيده في المرة الأولى، وأعفي في المرة الثانية لتأثير الجوع الذي فرضه على نفسه -وأصبح بسببه هزيلا- حتى لا يجند في الجيش الفرنسي وهذه من المواقف الوطنية المشرفة التي قل من يفعلها.⁶

انخرط الشهيد القاسم الجزائري منذ نعومة أظفاره في الحركة الوطنية حيث التحق بصفوف حزب الشعب الجزائري ونتيجة لنشاطه في هذا الحزب العتيد اعتقل رفقة جماعة من المناضلين عقب

- أنفس الذخائر وأطيب المآثر، ص105. ⁵

- في لقاء مع الشيخ محمد الشريف. ⁶

مظاهرات شهر ماي 1945 وزج بهم في سجن وهران. وبعد خروجه من السجن اشترى له والده دكانا بسوق المدينة الجديدة فاستعمله للاجتماع من أجل القضية الوطنية رفقة مناضلي حزب الشعب بوهرا⁷.

الشهيد القاسم زيدون في جامع الزيتونة:

التحق الشهيد القاسم بحاضرة تونس للتسجيل والدراسة بالكلية الزيتونية طبعاً بإمكانياته الخاصة وبدعم مادي من أفراد من عائلته وأقاربه، كان ذلك بعد خروجه من السجن لنشاطه السياسي بعد انخراطه في حزب الشعب الجزائري رفقة مناضلين من وهران.⁸

وقد نجح الشهيد القاسم وتفوق في الامتحان المعد للدراسة في الكلية الزيتونية، فسجل مباشرة في السنة الثالثة لنيل شهادة التحصيل، وقد عرف في هذه المرحلة من التعليم بنشاطه السياسي رفقة الطلبة الجزائريين المنضوين في حزب الشعب الجزائري مثل الأستاذ الشاذلي المكي، ورزق القاسم ومولود قاسم، وفي تونس سموا القواسم الثلاث، وكان في تونس قد ترأس جمعية الطلبة الزيتونيين التي تشرف على استقبال الطلبة الجدد وتوجههم وتسهر على متابعتهم وتدفع لهم المنحة التي تخصصها لهم جمعية العلماء وكان مبلغها ألف فرنك لمصارفهم الخاصة بالإطعام⁹، نشير إلى أن الشهادة التي تحصل عليها الشهيد قاسم من الكلية الزيتونية بتونس مازالت محفوظة عند أبناء أخيه محمد الشريف رحمه الله.

الشهيد القاسم بالقاهرة:

التحق الشهيد القاسم رحمه الله بالقاهرة لإتمام دراسته بكلية دار العلوم من جامعة فؤاد بعدما تحصل على رخصة من تونس بعد مشقة وبإمكانياته الخاصة كذلك. لكن المتتبع لمسيرة هذا الشاب البطل في الأيام والسنوات التي قضاها بالقاهرة ونشاطه السياسي المتواصل من أجل القضية الجزائرية يدرك أن الدراسة والشهادة العليا مع أهميتها، لم تكن مبتغاه وهدفه الأول، بل مواصلة العمل من أجل استقلال وطنه الجزائر هو الذي كان يصبو إليه رفقة إخوانه في النضال السياسي، هذا العمل الذي بدأه من وهران بانخراطه في صفوف الحركة الوطنية ودخوله إلى السجن، ثم مواصلته لنشاطه السياسي لما كان طالباً بالزيتونة في تونس. ولذلك لما أشار عليه بعض أساتذته بكلية دار العلوم بالقاهرة بأن يتجنس بالجنسية المصرية

- في لقاء مع الشيخ محمد الشريف رحمه الله يوم 17 / 05 / 2006.⁷

- في لقاء مع الشيخ محمد الشريف.⁸

- في لقاء مع الشيخ محمد الشريف في بيته.⁹

ليتاح له التدريس بالقطر المصري أبى إلا أن يبقى على جنسيته المصرية، وعندما عرض عليه التدريس بدولة الكويت الشقيقة أيضا أوقف ذلك على استشارة أبيه الذي رفض وحتم عليه الرجوع إلى وطنه الذي هو في حاجة ماسة لأمثاله.¹⁰

يتكون مكتب المغرب العربي من مجموعة أعضاء منهم التونسيين مثل الحبيب بورقيبة و ومن المغرب علال الفاسي ومن الجزائريين الشاذلي المكي والشهيد قاسم ومحمد خيضر.

في العطلة الصيفية لسنة 1953 استقبل السيد عبد الرحمان عزام -رئيس الجامعة العربية- كلا من السيدين الشاذلي المكي وقاسم زدور ابراهيم بمقر الجامعة العربية وكلف هذا الأخير بمهمة في الجزائر ومهمة أخرى في فرنسا، وبسبب هذه المهام التي كلف بها الشهيد قاسم لم يتمكن من اجتياز الامتحان الذي أجراه شهر جوان من السنة نفسها.¹¹

وقد كان قاسم في مستوى هذا التكليف بالمهام الصعبة في تلك الظروف العصيبة من قبل عبد الرحمان عزام الكاتب العام للجامعة العربية بالقاهرة، حيث كان لا يخبر أحدا بتلك المهام حتى لأقرب الناس إليه.

كان الشهيد قاسم يهتم بتصوير كل الوقائع والأحداث التي حضرها ومع الشخصيات التي التقاها وقابلها؛ حيث كان دائما يحمل معه آلة التصوير، من أمثلة ذلك صورة له مع رائد الحركة الوطنية مصالي الحاج في مكان إقامته الجبزية ببarris ويكتب على ظهر الصورة التاريخ والمكان. تحصل الشهيد القاسم على شهادة الليسانس في الآداب واللغة العربية بعد أربع سنوات، وكان بعد تمكنه من إتقان القواعد العربية يحسن خمس لغات أجنبية في مقدمتها اللغة الإنجليزية، والفرنسية، والفارسية والألمانية.¹²

- المصدر نفسه،¹⁰

- في لقاء مع الشيخ محمد الشريف شهر ديسمبر 2009 في بيته بوهران.¹¹

- تربى قاسم منذ صغره على حب تعلم اللغات وقد حفظه والده أبياتا شعرية حول أهمية تعلم اللغات، ولذلك كان¹² حريصا على تعلمها ويعتزم الفرص المتاحة له فتعلم اللغة الألمانية بالجزائر في سنوات الحرب العالمية الثانية حيث أعطى الألمان دروسا لفرنسا وقد كان الجزائريون مع الانتصار الألماني، وتعلم اللغة الفارسية والإنجليزية لما كان طالبا في كلية الآداب بجامعة فؤاد، حيث كانت الفارسية مع المقررات الدراسية ومن اختياراته، وتعلم الإنجليزية في مدرسة القنصلية البريطانية بالقاهرة فأصبح يتقنها جيدا. في لقاء مع الشيخ محمد الشريف رحمه الله.

وعن اهتمامه بالمطالعة والكتابة ذكر والده أنه لما رجع من القاهرة في صيف عام 1954م جلب معه كمية كبيرة من الكتب في علوم مختلفة مثل علم الاجتماع وعلم الاقتصاد والعلوم الطبيعية باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية، وكان قد نظم لهذه الكتب مكتبا خاصا ورتبها كل فن على حدة، وجهاز هذا المكتب بأدوات الكتابة وآلة الطباعة واعتكف فيه على المطالعة والكتابة بحيث لا يخرج إلا في أوقات قليلة مناسبة يأخذ فيها راحته.¹³

حدثنا شقيقه الشيخ محمد الشريف رحمه الله عن مهمته بالقاهرة فقال: هي التعريف بالقضية الجزائرية وتفصيلها حيث أن فرنسا كانت تذيع الأخبار الكاذبة فيما يخص الجزائر، وكان الشهيد قاسم من أبناء الجزائر المثقفين الذين عرفوا بالقضية الجزائرية في المقالات العديدة التي كتبها في العديد من الجرائد العربية والجزائرية، وبذلك اكتسب ثقة الكثير من الشخصيات الكبيرة في مصر.

أما بالنسبة للشخصيات البارزة التي عرفها الشهيد قاسم على الساحة السياسية والثقافية وكان له معها مقابلات ونشاطات فمنها الجزائرية، ومنها إسلامية وعربية وأجنبية، فمن الجزائر نجد مولود قاسم نايت بلقاسم من أبناء منطقة القبائل الذي كان صديق الدرب في الدراسة بتونس والقاهرة. ومن الجزائريين الذين عرفوا قاسم في النضال السياسي نجد شخصية الشاذلي المكي من أبناء عروس الزيان -بسكرة- الذي عرفه أيضا في تونس والقاهرة، وقد اشتركا في النضال السياسي بمكتب المغرب العربي وقد كانا أول ممثلين سياسيين للجزائر بهذا المكتب.

ومن الشخصيات المصرية التي عرفها قاسم وكان له معها لقاءات واتصالات، الجنرال محمد نجيب والكاظم العام للجامعة العربية عبد الرحمان عزام وأعضاء من حزب الوفد المصري مثل الوزير محمد صلاح الدين، وشخصيات من حركة الإخوان المسلمين مثل الشيخ حسن الهضيبي والسيد قطب.

ومن الشهادات الحية التي شهدت له بهذا النشاط السياسي شهادة المجاهد حسين آيت أحمد رحمه الله حيث قال في إحدى كتاباته: عند نزولي من الطائرة بالقاهرة وجدت في انتظاري ثلاث مناضلين الشاذلي المكي، محمد خيضر وقاسم زيدون، وهو شاب جزائري من وهران وقد تكون في صفوف حزب الشعب الجزائري، وحاليا دراسته للحصول على شهادة ليسانس بكلية مشهورة تسمى دار العلوم وله ثقافة مزدوجة وقد أفادنا بحسن معرفته للأوساط السياسية المصرية.¹⁴

- أنفس الذخائر، ص 106. ¹³

- في لقاء مع الشيخ محمد الشريف رحمه الله في بيته بوهران. ¹⁴

كان يتردد بين القاهرة وباريس لمأموريات كلفته بها جبهة التحرير الوطني، وبمجرد قيام الثورة قبضت عليه الحكومة الفرنسية ونكلت به تنكيلا حتى زهقت روحه الغالية، فكان بذلك أول شهيد استشهاد من أبناء الجزائر إذ قضى نحبه في اليوم السابع أو الثامن من قيامها، وكان حادث اغتياله من أكبر حوادث الجزائر أيام الثورة ومن أشدها تأثيرا وأكثرها استياء لدى الرأي العام الجزائري.¹⁵

مقالات الشهيد قاسم الجزائري:

كان الشهيد قاسم يمضي مقالاته باسمه قاسم الجزائري وبأسماء مستعارة في كثير من المقالات كزيد، زيدون الجزائري، عبد الرزاق الجزائري -وهو اسم ابن أخيه الأكبر محمد الشريف- من أجل إعطاء نوع من السرية في ممارسة عمله الإعلامي والصحفي.

كتب في جرائد مختلفة منها جريدة المنار التي كانت تصدر بالجزائر وهي جريدة سياسية، ثقافية، دينية، حرة، نصف شهرية ينتمي مؤسسوها إلى حركة الانتصار للحريات الديمقراطية¹⁶، وكان الشهيد قاسم مراسلها بالقاهرة، وكتب في جرائد أخرى مصرية كالأهرام وجريدة دعوة الحق وغيرها.

ومن مقالاته التي عثرنا عليها في جريدة المنار مقال عنوانه؛ "الطلبة الجزائريون في مصر يوم الشهداء، الطلبة الجزائريون يبدون آراءهم في قضية الاتحاد الوطني، رسالة الشرق، علال الفاسي يقول: "من الخير أن تعرض قضية الجزائر على هيئة الأمم"، تطورات القضية المصرية، زيارة ظفر الله خان لمصر، محمدون ثلاثة، مقال تحت عنوان شهيد.

وأقل ما يمكن أن يقال حول أهمية هذه المقالات والكتابات التي كتبها الشهيد محمد القاسم زدور إبراهيم أنها مست وتطرق لقضايا كبرى في الوطن العربي والإسلامي من بينها تطورات القضية المصرية¹⁷ حيث كشفت الحكومة البريطانية برغبتها في تسوية الخلاف المصري البريطاني في قضية الجلاء عن منطقة قناة السويس وقد فصل الشهيد قاسم الجزائري في هذا المقال تفصيلا ينم عن بعد نظره وفهمه الثاقب للتطورات الحاصلة في الساحة العربية والدولية آنذاك.

- في لقاء مع محمد الشريف المهاجي، شهر نوفمبر 2009م.¹⁵

- عبد المالك مرتاض، 2003، ص 265.¹⁶

- قاسم الجزائري: تطورات القضية المصرية، جريدة المنار، السنة الأولى، العدد 17، الجمعة 29 فيفري 1952.¹⁷

ويؤيد كلامنا السابق ما جاء في مقاله الذي عنوانه برسالة الشرق¹⁸ الذي تناول فيه ما وقع في مؤتمر الدبلوماسيين الفرنسيين باسطنبول حيث تقدمت الكتلة العربية الإسلامية بطلب من هيئة الأمم المتحدة إلى عقد جلسة استثنائية لبحث القضية التونسية بسبب أن الحالة في تونس تطورت من سيء إلى أسوء وتعد مشاركة سوريا ولبنان في تقديم الطلب ضربة لا ترضي الفرنسيين الذين عقدوا آمالا على الخطط التي أحكموها ومحاوله عرقلة أعمال الجامعة العربية.

ومن المقالات الهامة التي كتبها قاسم والتي تدل على حنكته في السياسة والقضايا الكبرى وقربه من الشخصيات البارزة في العالم العربي والإسلامي مقاله الذي عنوانه بمحمدون ثلاثة قال عنهم: "إنهم ثلاثة بعثهم الله ليوقظوا خير أمة من خمولها ويعيدوا لبنينها الثقة بأنفسهم والإيمان بماضيهم وليدفعوهم إلى عزة مستقبلهم".

أول هؤلاء المحمدين هو محمد علي جناح الذي دعا المسلمين في بلاد الهند وقادهم إلى تأسيس دولة إسلامية عظيمة هي دولة باكستان المباركة وقد شرح محمد علي جناح رسالته الخالدة في إحدى كلماته الحكيمة فقال رحمه الله: "ليس الإسلام مجرد مجموعة طقوس وتقاليد وتعاليم روحية وإنما هو دستور حياة كل مسلم دستور ينهج عليه في حياته وتصرفاته في جميع النواحي.. وهو دستور قائم على أسس مبادئ العزة والنزاهة والعدالة.

وثان المحمدين هو محمد المصدق الذي لقب آنذاك بأنه رجل العصر لأنه يمثل العصر في تطلعه إلى الحرية وكفاحه ضد الاستعمار.. وقد كان محمد مصدق وشعب إيران المجاهد صاحب الضربة الصائبة التي مني بها الأسد البريطاني العجوز.. وقد قال محمد مصدق: "إن شعوب الشرق قد حطمت أغلالها وهي تنظر بعين الكراهية إلى كل أولئك الذين لا تزال جوانبهم تخفق بأحلام استعمارية".¹⁹

وثالث الثلاثة هو محمد صلاح الدين الوزير المؤمن الذي طبع السياسة الخارجية المصرية ووسمها بسمه الرجولة وألبسها حلة الصراحة ومنحها صفة الوضوح، وكان شعاره "مصر للعروبة والإسلام" وقد وجدت مصر -في تلك الفترة - في محمد صلاح الدين أمثل معبر عن إرادتها وأصدق مبارز لأعدائها وأقوى المحامين إخلاصا لقضية التحرير.. وهو أحب الشخصيات السياسية إلى شعب مصر المناضل، ولا

- قاسم الجزائري: رسالة الشرق، جريدة المنار، السنة الثانية، العدد 06، الجمعة 04 يوليو 1952.¹⁸

- قاسم الجزائري: محمدون ثلاثة، جريدة المنار، السنة الثانية، العدد 15، الجمعة 01 فيفري 1952.¹⁹

عجب فهو يعبر تمام التعبير عن هذا الجيل المتحفز إلى تحطيم أكبال الاستعمار المتطلع إلى حياة أعز وأسمى.

ونشير هنا أن الشهيد قاسم الجزائري كان قريبا من هذه الشخصيات لما كان طالبا بكلية دار العلوم بالقاهرة، ولا يخفى على أي عاقل أهمية هذا المقال وتحفيزه للشعوب العربية والإسلامية للنهوض والسير في خطى أمثال هؤلاء الزعماء.

رأي الشهيد القاسم حول قضية الاتحاد في الجزائر:

طرحت جريدة المنار الجزائرية استفتاء هاما في قضية الاتحاد في الجزائر بداية من شهر فيفري سنة 1953م، لا شك أن في اختلاف الآراء على أساس الاتحاد أي البرنامج الذي يبنى عليه، فعلى أي أساس يبنى الاتحاد؟ إذ وقع الاتفاق على أساس معين فما هي الوسائل لجمع الكلمة حوله للتنفيذ؟ هذا موضوع الاستفتاء الذي تقوم به " المنار " لأول مرة في تاريخ الصحافة العربية الجزائرية للسعي إلى توحيد الصفوف وتنظيم الكفاح.²⁰

شارك في الاستفتاء العديد من المفكرين والسياسيين ورجال الإصلاح في الجزائر ونشرت آراؤهم في صفحات جريدة المنار. وجاء رأي الشهيد زدور ابراهيم القاسم في صفحة خصصتها المنار للطلبة الجزائريين تحت عنوان: الطلبة الجزائريون يبدون آراءهم في قضية الاتحاد الوطني، وهم على التوالي؛ من القاهرة مولود قاسم²¹ وقاسم الجزائري ومن بغداد عثمان سعدي وعلي الجزائري ومحمد شيوخ.

بدأ مقاله حول الاستفتاء بالإشارة إلى أهمية الاتحاد وفوائده بقوله: "لعل من تقرير المقرر وتحقيق المحقق أبتدئ كلمتي ببيان ضرورة الاتحاد وعرض فوائده فيكفي دليلا على ضرورته ما تعيش فيه بلادنا من وضع شاذ وظروف عاتية، وحسبنا برهانا على فوائده أنه لا يرضي المستعمرين."²² وكيف لا يمكن أن تتحد

- محمود بوزوزو: هذا الاستفتاء، جريدة المنار، السنة الثانية، العدد 17، الجمعة 06 فيفري 1953، ص1. ²⁰

- ولد مولود نايت بلقاسم يوم 06 جانفي 1926 ببجاية، حفظ القرآن الكريم، ثم واصل دراسته بجامع الزيتونة، ثم ²¹ التحق بكلية الآداب بجامعة القاهرة حيث حصل على شهادة ليسانس في تخصص الفلسفة عام 1952 والتحق بالثورة الجزائرية بعد اندلاعها، وبعد الاستقلال تقلد مولود قاسم عدة مناصب منها وزيرا للتعليم الأصلي والشؤون الدينية من 1970 إلى 1979 ومن أهم نشاطاته التي عرف بها تنظيم ملتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر وقد ترك عدة مؤلفات ومحاضرات ومقالات، توفي رحمه الله في 27 أوت 1992 بالجزائر ودفن بمقبرة العالية بالجزائر العاصمة في جو مهيب. د. بوعلام بلقاسمي وآخرين، 2007، ص 166_167.

- قاسم الجزائري، الطلبة الجزائريون يبدون آراءهم في قضية الاتحاد الوطني، جريدة المنار، عدد 42، السنة الثالثة، ²²

أمة غلبت على أمرها وفقدت حريتها وضاعت منها سيادتها وسقطت رايثها وانتهكت حرمتها ولم يبق لسلامة كرامتها سوى مقاومة الغزاة والعمل الدائب على استرجاع مكانتها التي ترضي بها شرفها المكسوم. وعن إمكانية الاتحاد قال رحمه الله: إي والله إن الاتحاد ممكن لأن الاتحاد من لوازم حب الوطن، فهو من لوازم الإيمان بأن للجزائر ولأمتها شرفا أصيلا ولشعبها تاريخا مجيدا. وكل جزائري يحب قلبه ثرى الجزائر يشعر في قرارة نفسه بدعوة الاتحاد ويدرك بعقله الظاهر والباطن الأسس التي يجب أن يبنى عليها الاتحاد لأنها أسس حسية ومعنوية فرضتها الظروف العصبية التي تعيش فيها بلادنا منذ أكثر من قرن وتحتّمها الآلام التي تقاسيها أجسامنا وأرواحنا منذ أن ابتلي وطننا بطاعون الاستعمار.

وكتعليق على قول الشهيد زدور إبراهيم القاسم رحمه الله تعالى في بيان ضرورة الاتحاد في الجزائر وفوائده ينطبق عليه المثل القائل: "خير الكلام ما قل ودل" ويدل على ملكته القوية في اللغة العربية، ويعبر عن سخطه وتذمره ومن وراءه كل الشعب الجزائري ومعاناته من ويلات الاستعمار والذي شبهه بالطاعون الذي يفتك بالأرواح والأجساد.

أما أسس الاتحاد -حسب رأيه- فتوجد في أصل المشكلة التي تشعر بضرورة الاتحاد، ومشكلة الجزائر مشكلة شعب حر له دولة ذات سيادة اعتدت عليه دولة أخرى اعتداء مسلحا وقاوم العدوان مقاومة مجيدة ولكنه هزم ففقد حريته وسيادته على أنه لم يستسلم، فقد استمرت المقاومة في أشكال مختلفة. ولا يزال حتى الآن يقاوم بمختلف الوسائل ولا أدل على هذه المقاومة من السجون المملوءة.²³

ولا بأس أن نعلق هنا بما أوردته جريدة المنار تحت عنوان: أحكام قاسية تنصب على الوطنيين الجزائريين بسبب أفكارهم ونشاطهم السياسي وقد أصدرت المحاكم الاستعمارية سلسلة من الأحكام القاسية ففي مغنية حكم على أربعة من الوطنيين الجزائريين بأحكام تتراوح بين خمسة وثلاث سنوات سجنا وبغرامات مالية زيادة على سنوات الإبعاد والحرمان من الحقوق المدنية التي تتراوح بين الخمس والعشر سنوات، وفي البلدة أصدرت المحكمة حكمها في قضية الستة والخمسين وطنيا فلم تبرئ إلا أربعة منهم وحكمت على الباقين بأحكام بلغ مجموعها أكثر من مئة وخمسين سنة ومئة وعشرة سنوات نفيا.²⁴

الجمعة 24 شعبان 1372هـ / 8 ماي 1953م، ص2.

- قاسم الجزائري: الطلبة الجزائريون يبدون آرائهم في قضية الاتحاد الوطني، جريدة المنار، السنة الثالثة، العدد 48،²³ 08 ماي 1953، ص02.

- أحكام قاسية: جريدة المنار، السنة الأولى، العدد 18، الجمعة 14 مارس 1952، ص04.²⁴

واصل الشهيد قاسم الجزائري جوابه عن أسس الاتحاد بقوله: "فأمامنا اعتداء مسلح من دولة أخرى لا تربط بينهما أية علاقة جنسية أو دينية أو لغوية أو ثقافية أو تاريخية أو جغرافية، بل إن الطبيعة أكدت اختلاف هاتين الدولتين ففصلت بينهما ببحر فسيح".

وأمامنا استمرار العدوان المسلح في شكل المجازر الجماعية كما في سنة 1945²⁵ وحملات التخريب كما في سيدي علي بوناب وكريشتل وحملات التفتيش كما هو سار في جبال الأوراس والاعتقالات كما هو جار في كل نقطة من أنحاء الجزائر والمحاكمات التي لا يمر يوم دون أن يحدث منها عدد عديد والأعمال البوليسية وجولات الجندرية والحرس المتحرك، كل هذا مكلل بموجب المادة 80.

وأمامنا دعوى فرنسا أن الجزائر فرنسية وأنها جزء من أوروبا وهي دعوى تمس كرامتنا وتنتهك حرمتنا وتجرح شرفنا، وهي دعوى لم يرض بها الشعب الجزائري قط ولن يرضى بها أبدا ما توالى الأيام ومهما زعم الزاعمون هي دعوى حكم عليها الشعب الجزائري منذ أن خلقت ولفظها لفظ الدنس منذ أن اختلقت وسينبذها أبد الأبدن فلا يوجد جزائري رضع لبنا جزائريا من ثدي أم جزائرية إلا وهو معتز بجزائريته فخور بعرويته شامخ بإسلامه لا يبغي بجنسية أمه وأم أبيه بديلا.

وأمامنا أخيرا سياسة شيطانية ترمي إلى إبادة العنصر الجزائري في بلاد الجزائر وإحلال العنصر الأوروبي محله، ولهذا السياسة الخطر كله على كيان أمتنا ومستقبل شعبنا وقد قدم المستعمرون أرض الجزائر وأبنائها هدية إلى دول حلف الأطلسي ليتخذوا من بلادنا مراكز لجنودهم ومن ثروة وطننا غذاء لجيوشهم ومن أبنائنا طعمة لنيران حربهم، وبذلك أصبح الشعب الجزائري فريسة تتناوشها أنياب سباع الأطلسي كلها.

ثم عدد الظروف والأخطار التي كانت تهدد كيان الأمة الجزائرية، عليها رأى لزاما أن يقيم اتحادا على أساس يحل المشكلة من أصلها، وهذا الأساس هو الإيمان بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره في حرية.²⁶

وختم قاسم الجزائري بحثه بذكر وسائل الاتحاد في النقاط الآتية:

أ- أن تعقد كل هيئة جزائرية مؤتمرا يجمع قادتها ويقرر ما يأتي:

- يقصد ما حدث من مجازر في يوم 08 ماي 1945 حيث سقط أكثر من أربعين ألف من الجزائريين في سطيف وقالة وخرائطة.

- قاسم الجزائري: المصدر السابق.²⁶

- 1- المطالبة بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره.
 - 2- المطالبة بانتخاب جمعية تأسيسية جزائرية ذات سيادة كاملة انتخابا حرا، ويكون الانتخاب تحت مجلس الأمن.
 - 3- الاحتجاج لدى هيئة الأمم المتحدة على إدخال الجزائر في الحلف الأطلسي على اعتبارها مقاطعة فرنسية.
 - 4- العمل مع الهيئات الأخرى على كسب عطف الرأي العام العالمي لصالح قضية الجزائر.
 - 5- العمل على إثارة قضية الجزائر في هيئة الأمم المتحدة لكي يناقش موضوع النزاع بين الجزائر وفرنسا.
 - 6- إعلان هذه القرارات إعلانا رسميا على لسان زعماء الهيئات وبواسطة صحفها.
- ب- بعد أن تتخذ كل هيئة هذه القرارات جميعها وبعد أن تعلنها أمام الرأي العام تشكل لجنة تنفيذية موحدة أعضاؤها من المسؤولين في الهيئات وتقوم هذه اللجنة بوضع خطط العمل لتنفيذ القرارات المتقدمة، ولهذه اللجنة النفوذ الكامل لأن الشعب كله مدد لها والأمة جمعاء مناصرة لها.

لقد تميزت المرحلة التي قضاها الشهيد قاسم زدور بالقاهرة بالنشاط الغزير، الكثير والمتنوع والتحرك الواسع على أكثر من صعيد، فهو ينشر المقالات وتجري معه المقابلات في الجزائر والمجالات ويجري الاتصالات مع المسؤولين المصريين ومع سفراء الدول العربية والإسلامية في القاهرة، كما أقام الشهيد قاسم زدور شبكة واسعة من العلاقات مع أقطاب السياسة ورجال الفكر ومشاهير العلماء والكتاب والأدباء والصحفيين.

ومن الجزائريين الأوائل الذين كتبوا عن ثورة الفاتح من نوفمبر المباركة وعن شخصية الشهيد القاسم زدور ابراهيم -الذي تناولناه في بحثنا هذا- الشيخ العلامة الطيب المهاجي رحمه الله في كتابه أنفاس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر وهو أب الشهيد القاسم زدور، وقد أورد قصة ابنه الشهيد من مرحلة الطفولة إلى استشهاده رحمه الله حيث قال: "وكان أول شهيد استشهد من أبناء

الجزائر في سبيل الوطن هو ولدنا السيد القاسم وباستشهاده نالني من الكوارث التي حلت بالجزائر الحظ الأوفر والنصيب الأكثر".

قائمة المصادر والمراجع:

- في لقاء مع الشيخ محمد الشريف شهر ديسمبر 2009 في بيته بوهران.
- جريدة المنار، السنة الثانية، العدد 15، الجمعة 01 فيفري 1952.
- جريدة المنار، السنة الأولى، العدد 17، الجمعة 29 فيفري 1952.
- جريدة المنار، السنة الأولى، العدد 18، الجمعة 14 مارس 1952.
- جريدة المنار، السنة الثانية، العدد 06، الجمعة 04 يوليو 1952.
- جريدة المنار، عدد 42، السنة الثالثة، الجمعة 24 شعبان 1372هـ / 8 ماي 1953م.
- الشيخ الطيب المهاجي الجزائري، (1966)، أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر، الشركة الجزائرية للطبع والأوراق، وهران.
- عبد المالك مرتاض، (2003)، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (1830-1962)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر.
- د.عبد المجيد بن نعمة، د.ملاح الهواري، (2011)، آثار وسيرة الشيخ الطيب المهاجي الجزائري (1389هـ-1969م)، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، الجزائر.
- د.بوعلام بلقاسمي وآخرين، (2007)، موسوعة أعلام الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر.